رأي القدس

ايران تستعد للاسوأ

■ تبدو الادارة الامريكية في حال من الارتباك تجاه ازمة البرنامج النووي الايراني المتفاقمة، لان اي تصرف خاطىء في هذا الاطار قد يؤدي الى نتائج كارثية.

ومثلما تنشغل الدبلوماسية الامريكية حالياً في عملية حشد محمومة للحلفاء لضمان عرض ناجح للملف النووي الايراني على مجلس الامن الدولي يقود الى ادانة بانتهاك المعاهدات الدولية ويمهد لعقوبات اقتصادية، تبدو ايران في المقابل على دراية تامة بما ينتظرها في المستقبل، وتضع حساباتها على اساس ان الحصار الاقتصادي بات حتمياً.

الحكومة الايرانية اقدمت على خطوتين اساسيتين في اطار هذه الاستعدادات لمواجهة الاسوأ:

● الاولى: تتمثل في سحب ارصدتها وودائعها المالية في المصارف الغربية، واعادة ايداعها واستثمارها في دول اسيوية وافريقية، لتجنب اي قرارات بتجميدها على غرار ما حدث للاموال والودائع الايرانية بعد ازمة رهائن السفارة الامريكية في بدايات الثورة الخمينية.

● اما الثانية، فقد جاءت في اطار الزيارة المفاجئة التي قام بها احمدي نجاد رئيس ايران قبل يومين الى العاصمة السورية دمشق لتنسيق مواقف البلدين في مواجهة الضغوطات الامريكية.

وكان لافتاً ان الرئيس الايراني لم يحصل على دعم الحكومة السورية فقط، وانما فصائل المقاومة الفلسطينية ايضاً، فلقاؤه بقادة هذه الفصائل يوجه رسالة قوية الى كل من الدولة العبرية والولايات المتحدة الامريكية، مفادها ان ايران يمكن ان تفعّل جبهة جنوب لبنان مجدداً، وتقدم دعماً غير محدود للعمليات الفدائية ضد اهداف اسرائيلية.

من الواضح اننا نقف حالياً امام صراع ارادات. الادارة الامريكية مصرة على ايقاف البرنامج النووي الايراني، والحكومة الايرانية مصرة على المضي قدماً فيه حتى النهاية.

الادارة الامريكية ستلجأ الى المنظمة الدولية كسلاح لاضفاء شرعية على توجهها في هذا الخصوص، تماماً مثلما فعلت مع العراق. ولكن ايران دولة كبرى تملك صناعة عسكرية متطورة، وترسانة اسلحة تؤهلها للدفاع عن نفسها، وقيادة منتخبة بطريقة ديمقراطية.

السلاح الايراني في مواجهة الضغوط الامريكية سيكون «اخلاقياً»، اي محاولة تأليب العالم الاسلامي ضد الولايات المتحدة، وتحريك فصائل المقاومة الاسلامية، الفلسطينية واللبنانية والعراقية، ضد اهداف امريكية واسرائيلية.

الادارة الامريكية تعيش اسوأ ايامها في منطقة الشرق الاوسط. فحربها على الارهاب لم تحقق النتائج المرجوة، ومشروعها في العراق ينتقل من نكسة الى نكسة، ومن فشل الى آخر، وخسائرها المادية والبشرية في الحربين تتصاعد بشكل مرعب.

تسويق حرب ضد العراق وافغانستان عملية سهلة، لان البلدين ضعيفان، ولان الحرب الاولى لاخراج القوات العراقية من الكويت مرت بسلام وتحملت تكاليفها المادية بالكامل دول الخليج العربي، ولكن اي محاولة لتسويق حرب جديدة ضد ايران لن تكون بالسهولة نفسها. فاكثر من ستين في المئة من الشعب الامريكي غير راضين على حرب ادارتهم في العراق ويطالبون بسحب قواتهم فوراً، ومن المؤكد ان هذه النسبة سترتفع بمجرد الحديث عن حرب اخرى ضد بلد قوي مثل ايران، لم يخترق اي قانون دولي حتى الان، وكان حليفا غير مباشر للولايات المتحدة في حربيها ضد العراق وافغانستان.

ان اقتراب اسعار النفط من سبعين دولاراً هو مؤشر لما يمكن ان يكون عليه الرأي العام الامريكي تجاه اي احتكاك عسكري او اقتصادي بايران.

ايران في موقع قوي، وهذا ما يجعل الادارة الامريكية مرتبكة، فخياراتها تظل محدودة جداً.

خطة ضرب سورية على جدول أعمال ديك تشيني وبنيامين نتنياهو!

محمد عبد الحكم دياب*

■ تبدو الإدارة الأمريكية تعد لضرب سورية، خلال الربيع القادم. وظهر ذلك جاليا في ثنايا مقال لجيفري ستينبرغ، أوردته «نشرة المعلومات الخاصة» Executive Intelligence Review، الصادرة أمس الجمعة، وفيه يشير إلى مرور ديك شيني، نائب الرئيس الأمريكي، بتل أبيب في الحادي عشر من هذا الشهر، وأن هذا المرور كان بهدف دعم بنيامين نتنياهو ليكون رئيس وزراء الدولة الصهيونية القادم، وإعادة حزب الليكود إلى الحكم، استعدادا لضرب سورية، فنتنياهو متحمس لأداء هذه المهمة استكمالا لخطة معروفة باسم «كلين بريك»، وترجمته «الكسر النظيف»، وهي خطة أعدت لنتنياهو في تموز (يوليو) 1996 بواسطة جماعة المحافظين الأمريكيين الجدد، المتحالفة مع ديك شيني، وضمت أخطر مجموعة يهودية صهيونية معادية للعرب، من بينهم ريتشارد بيرل، وديفيد فورمستر، ودوغلاس فيث. وقامت الخطة على البدء بإزاحة نظام صدام حسين، ويلي ذلك اسقاط نظم الحكم السورية والإيرانية والسعودية والمصرية. وديفيد فورمستر، الأكثر تحمسا لإزاحة نظام دمشق هو الآن أبرز معاوني نائب الرئيس الأمريكي.

هذا جانب من التحرك على الجبهة الأمريكية الصهيونية، يواجه بجبهة عربية رسمية مهلهلة، لا تملك من أمر نفسها شيئا غائبة عن الفعل تماما. لهذا يحتل الوضع الداخلي السوري أهمية قصوى في مثل هذه الظروف. وإن كان انشقاق عبد الحليم خدام، النائب السابق لرئيس الجمهورية أحدث شرخا في الأوساط الرسمية العليا، وكان ذلك واضحا في «الهيستيريا» التي انتابتها، ولكن يبدو أن هذا الإنشقاق بدأ يصب في صالح الرئيس السوري، وقد لوحظ، في الأسابيع الأخيرة، أن كثيرا من العرب، غير السوريين. صاروا أكثر تسامحا مع سياساته، وأكثر استعدادا لإتاحة فرصة جديدة أمامه، لترتيب أوضاعه الداخلية والإقليمية والدولية. وقد شعرت بتحول ملحوظ في الرأي العام المصري لصالحه، أثناء زيارتي الأخيرة لمصر، في تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي. فأثناءها ألقى الرئيس بشار الأسد خطابا بدا فيه متشددا ومتحديا للضغوط الخارجية، ولقي ذلك التشدد قبولا واستحسانا بين المصريين، منهم أناس بسطاء للغاية. يتطلعون، بفطرتهم، إلى وقفة عز، في بلد شقيق، بعد أن فقدوا هذه الإمكانية بين ساستهم وحكامهم، بمواقفهم التي أصبحت مصدر خجل بالغ لهم.

وسورية وهي تمر بمخاض صعب، ذلك يأتي في ظروف استثنائية، من المفترض أن تتهيأ له أفضل السبل لولادة صحية وصحيحة، وهو ما يدفعنا إلى التعرف على أحوال ومواقف القوى السياسية، الموالية للحكم والمعارضة له، فقد يتم من خلال ذلك حساب حركتها بالدقة اللازمة، في ظروف جادة لا تتحمل إلا كل ما هو جاد. فعلى مستوى الموالاة لا يستطيع المرء أن يتجاهل القاعدة الاجتماعية والسياسية التي يرتكز عليها الحكم في عاصمة الأمويين. تحالف من تجار ورجال أعمال، وشركاء له بين أروقة الحكم والدولة. يستند على نخبة عسكرية، ذات تأثير واضح على كل بيت وأسرة تقريبا. فطبيعة الوضع السوري، ونوعية المهام الموكولة لهذه النخبة، على مستويات الأمن الداخلي وغير الداخلي، تجعلها محط الأنظار. ويتوفر لهذا التحالف غطاء سياسي على شكل حزب متشعب ومنتشر، شديد المركزية، له سيطرة على العديد من الكيانات والمنظمات، السياسية والنقابية والجماهيرية والإعلامية، تسنده شبكة واسعة من المصالح، متشعبة وممتدة في كل ركن وحي. وداخل هذا الغطاء السياسي توجد «الجبهة القومية التقدمية».

وهناك من يتحفظ على الادعاء الذي يقول بأن هذه الجبهة تحكم سورية، ويرى أنها لا تمثل أكثر من إدارات ملحقة بـ«الحزب القائد»، تسعد في فرحه، وتأسى لحزنه، وتقبل بقيوده، التي لا تسمح بالعمل السياسي في أوساط الشباب والطلاب، ولهذا لا تخرج عن تركيبة الموالاة، ولا يمكن حسابها ضمن المعارضة بحال من الأحوال، وهي تتكون من جماعات صغيرة، قومية وناصرية ويسارية، تبدأ بالاتحاد الاشتراكي العربي، جماعة صفوان قدسي، مرورا بتنظيم الوحدويين الاشتراكيين، جماعة فائز اسماعيل، وانتهاء بجماعات قومية وبعثية ويسارية سابقة.

في المقابل هناك معارضة، تتحرك على محورين. أحدهما داخلي، يتألف من ناصريين وقوميين ويساريين ومستقلين، انضوى أغلبهم، في السنوات الأخيرة، تحت مظلة «التجمع الوطني الديمقراطي»، يمثل فيه حزب الاتحاد الاشتراكي العربي، الذي أسسه الراحل جمال الأتاسي، ويقوده الآن حسن عبد العظيم، الفصيل الأقوى والأكثر تأثيرا، ومعه حزب الشعب الديمقراطي، جماعة الشيوعي السابق رياض الترك، والحزب العربي الاشتراكي. أو ما يعرف بجماعة «الحورانيين»، نسبة إلى الراحل أكرم الحوراني، نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة، إبان الوحدة المصرية السورية، وهو مؤسسه في أربعينات القرن الماضي، قبل الاندماج في حزب البعث، وتغيير اسمه ليصبح حزب البعث العربي الاشتراكي، ويضم كذلك الحزب العربي الديمقراطي، جماعة صلاح جديد، والمجموعات الموقعة على بيان دمشق. ويتخذ «التجمع الوطني الديمقراطي» موقفا شاملا من التغيير، وترك الباب مفتوحا لدخول القوى السياسية الأخرى فيه.

وبرنامج هذا «التجمع» يركز، على تغيير البنية الأساسية للنظام السياسي برمته، لأنه يرى أن الفرصة، التي أتيحت للرئيس بشار الأسد، لاكتساب شرعية حقيقية، كابن لسورية وليس ابنا لحافظ الأسد، حسب تصريح أحد الموقعين على بيان دمشق لكاتب هذه السطور، يرى أن هذه الفرصة قد ضاعت ولن تعوض. فالأسد الإبن رفض دعوة وجهها «التجمع» له، من ثلاث سنوات، لعقد مؤتمر وطني برئاسته، يضع وعود «الإصلاح» موضع التنفيذ. وبذلك أسقط «التجمع» رهانه على إمكانية التغيير من داخل النظام السياسي أو به، وهذا من أهم أسباب قطع كل علاقة له مع السلطة، وهو يعد لمؤتمر وطني، يدرس إمكانية اختيار رئيس مجلس الشعب رئيسا مؤقتا للبلاد، لمرحلة انتقالية، والدعوة لتحديد القوات المسلحة، وتشكيل جمعية وطنية تضع دستورا جديدا، يكون أساسا لانتخابات حرة، كخطوة ضرورية لبناء نظام جمهوري برلماني.

ومع التطورات، التي جرت مؤخرا على الساحة اللبنانية، رفض «التجمع الوطني الديمقراطي»، تصريحات وليد جنبلاط، المحرضة على غزو سورية، والمطالبة بنزع سلاح المقاومة، في الجنوب وبين المخيمات الفلسطينية. ويقيم «التجمع» معادلته على قاعدة الربط بين متطلبات التغيير الديمقراطي وحماية التراب الوطني، والذي يستلزم بدوره تغيير بنية النظام السياسي الحالي. ولا يمكن الحديث عن فصائل المعارضة الداخلية دون الإشارة إلى دور الأكراد السوريين. وترى أوساط مطلعة أن الأحزاب الكردية السورية لها قوة لا يستهان بها. حافظت على وجودها بالعمل مع السلطة، إلا أن مشكلتها في غلبة النزوع الانفصالي عليها، بشكل يثير قلق كثيرين من خطر ذلك على وحدة لتراب الوطني، وهذا ترك ظلاله على العلاقات البينية بين القوى السياسية. وبالطبع هناك الاستثناءات فمن بين الأكراد السوريين من يحرص على وحدة التراب الوطني، في ظل نظام ديمقراطي يقوم على التعددية، ويعتمد مبدأ التداول السلمي للسلطة.

وإذا ما انتقلنا إلى الخارج، نجد أن شخصيات وجماعات سورية معارضة تتوزع على أكثر من بلد أوروبي وغربي، وتفاجئنا نشرة المعلومات، التي أشرنا إليها في مطلع هذه السطور، حيث ورد فيها أن «حزب الإصلاح السوري»، ومقره واشنطن، يحظى برعاية المحافظين الجدد، في الإدارة الأمريكية، ويمثل ديك تشيني أحد أبرز صقورها، وأبرز حلفائه في الدولة الصهيونية هو بنيامين نتنياهو، ويقود هذا الحزب فريد الغادري وتشير النشرة إلى أنه «نسخة سورية من أحمد الجلبي». أما في أوروبا فالمعارضة السورية موزعة على بلدان شرق ووسط وغرب أوروبا. منها جماعات اليسار في باريس، وجماعة الإخوان المسلمين في لندن، وأحزاب «التجمع القومي الوحد»، الموزعة على أكثر من دولة أوروبية، ويرى مراقبون مطلعون أن جماعات فرنسا أقرب إلى أندية المثقفين، وتتخذ من النشاط التطوعي الخاص بحقوق الإنسان والدفاع عن الحريات مجالا لحركتها. وتتعدد الجماعات والشخصيات السورية في فرنسا. بينهم ناطق باسم التجمع الوطني الديمقراطي، فاروق سبع الليل، ونشطاء منظمات المجتمع المدني، من الشيوعيين وجماعات اليسار القدامى، كهيثم مناع، القريب من معارضة الداخل، ومثقفون وأكاديميون مستقلون، مثل الباحث الاستراتيجي المقدم هيثم الأيوبي، والأستاذ الجامعي برهان غليون. أما الإسلاميون، خاصة جماعة الإخوان المسلمين السورية، اللندنية مشكلتهم أنهم في صراع بين براغماتية حائرة، وقيد أيديولوجي صارم، والتزام تاريخي مع الغرب معتل.

يمثل الإخوان المسلمون السوريون، في بريطانيا، الفصيل الأكبر بين الإسلاميين. وتأثيرهم الخارجي واضح، إلا أنهم، حسب أوثق المصادر، لا يتمتعون بقوة حقيقية في الداخل. ومن الصعب مقارنة قوتهم بقوة ولا إمكانيات الإخوان المسلمين المصريين، لأسباب سياسية وتاريخية وتنظيمية. والضعف الداخلي مصدر قلق لكثيرين. لأنه قد يغريهم بالرهان على التدخل الأجنبي، ويأخذ البعض تأييدهم لانشقاق عبد الحليم خدام على هذا المحمل، وأنه علامة ضعف أكثر منه معلم قوة.

وقد لوحظ، في الفترة الأخيرة، أن شبكة الأخبار العربية الفضائية، المعروفة بـANN، بدأت تبث البيانات والنداءات والبرامج باسم «التجمع القومي الموحد»، الذي يرأسه نائب رئيس الجمهورية الأسبق رفعت الأسد. شقيق الرئيس الراحل حافظ الأسد، وعم الرئيس الحالي بشار الأسد. وتطالب البيانات والنداءات، بتغيير سلمي، وتداول ديمقراطي للحكم، وتخاطب القوات المسلحة من أجل حماية التراب الوطني، ودائمة الحض على عودة زعيمه إلى الداخل، ليشارك في صياغة المرحلة القادمة. وتركز «الحملة» على الديمقراطية، كطريق للمصالحة الوطنية، وتطالب بتصحيح العلاقة مع لبنان.

كانت هذه قراءة سريعة، سمح بها الحيز المتاح. قراءة لأوضاع الموالاة والمعارضة. قد تلقي ضوءا على الصراع في سورية وحول سورية، وإذا ما جمعنا ذلك مع أطراف الضغوط الداخلية والخارجية، في وقت يبدو فيه التحرك الجاد، من قبل النخبة الحاكمة لتغيير حقيقي، شبه غائب.

وهذا هو الذي يجعل سورية تتقلب على جمر ملتهب، وتسير على حد نصل حاد، وسط حقل لا محدود من الألغام، منها ما هو ظاهر ومرئي، ومنها ما هو مطمور وخفي. قد تبين هذه القراءة أن وضع الموالاة والمعارضة مختلف نوعيا عن وضع نظائرها في عراق ما قبل الغزو الصهيو أنكلو أمريكي، فالمحرضون على التدخل الخارجي أقل عددا وعدة وتأثيرا بين السوريين، والنزوع الطائفي أخف حدة، وأبرد حرارة، وأقل سخونة. بالإضافة إلى أن قاعدة المعارضة الداخلية أكثر وزنا وتأثيرا عن مثيلتها في الخارج، ولو وعت النخبة الحاكمة هذا لخففت كثيرا من وطأة التردي والارتباك الراهن.

* كاتب من مصر يقيم في لندن

اعلام الاحتلال الامريكي.. قناة «العراقية» مثالاً

هيفاء زنكنة*

■ من بين المفردات التي شاع استخدامها في العراق المحتل: الحرية، النزاهة، الشفافية، المصداقية والديمقراطية. وهي مفردات رائعة لولا انها تحولت الى الفاظ جوفاء بلا معنى بفضل المسؤولين في الحكومات المتعاقبة تحت الاحتلال. ولعل قراءة تعريف حبيب الصدر، مدير شبكة الاعلام العراقية للشبكة، اثناء لقاء تم بين الرئيس المؤقت الطالباني مع عدد من الاعلاميين العراقيين، في تشرين الاول الماضي، سيعطينا فكرة عن واقع التعامل الاعلامي مع مفردات العراق المحتل. يقول حبيب الصدر: شبكة الاعلام العراقي، وليدة تأسست بموجب الامر 66 الذي اصدره السفير بريمر. قانونها وفر لها الحرية. هي هيئة مستقلة غير تابعة لهيئة حكومية، لتستطيع ان تؤدي خدمتها الاعلامية المقروءة والمسموعة والمرئية مستندة للمصداقية والشفافية والتنوع ويجب ان تحظى بالاستثنائية والحرية فالاعلام الحر هو الوجه المشرق للديمقراطية ولا نتصور ديمقراطية حقيقية بدون اعلام حر. فأجابه الطالباني مؤيدا بحماس: لذلك الغينا وزارة الاعلام.

فهل صحيح ان الوليدة هيئة مستقلة تستند الى المصداقية والشفافية وذات وجه مشرق للديمقراطية؟ لنفحص اولا كيف ولدت ومن ثم نساير نموها وترعرعها، مع التأكيد على قناة العراقية دون غيرها.

لقد ولدت الشبكة ابنة شرعية لعقد تم توقيعه بين وزارة الدفاع الامريكية وشركة امريكية خاصة اسمها ساينس ابليكيشن انتيرناشيونال كوربيريشن (سايك). وكانت الادارة الامريكية قد تعاقدت، بداية، مع سايك في شباط (فبراير) 2003، من اجل العمل لاعداد حكومة عراقية في المنفى.

وسايك هي واحدة من اكبر عشر شركات متعاقدة مع البنتاغون. وهي متخصصة في خدمات المراقبة لوكالات التجسس. لديها خمسة الاف موظف (واحد من كل ثمانية من موظفيها) ممن يتمتعون بصلاحية تجاوز الخطوط الامنية الحمراء، ويملكون اذنا خاصا بالاطلاع على ما يوصف عادة بسري للغاية ضمن الوثائق الحكومية. انها وحسب تعبير احد مدرائها كيث نايتنغيل: شبكة شبحية، نحن في كل مكان، وان كنا غير مرئيين.

واشهر منتجات الشركة برامج مراقبة المعلومات المستخدمة من قبل وكالة الاستخبارات الامريكية. لغربلة كل المعلومات التي يتم تجميعها حصيلة مراقبة المكالمات الهاتفية وارسال الفاكسات وتبادل الرسائل الالكترونية، حيث يتمكن برنامجها المسمى تاراتيكست من غربلة وتصنيف 2 مليار وثيقة كل اربع ثوان. وهي التي قامت بتحديث اجهزة التنصت لوكالة الاستخبارات الامريكية في عام 2002. وقد كتب عنها الصحافي براتاب جتيرجي بالتفصيل في كتابه (العراق شركة محدودة).

انها اذن شركة متخصصة بالتجسس والمراقبة الامنية ولاعلاقة لها بالاعلام. وعلاقتها باعداد البرامج التلفزيونية لا تزيد على نصب كاميرات المراقبة في المباني والمؤسسات للمراقبة والتجسس، الى ان منحت ثلاثة عقود لبناء الجهاز الاعلامي في العراق بعد الاحتلال، بلغت قيمتها 108 ملايين دولار.

واطلقت الوليدة صرختها الاعلامية الاولى باشارة بث من طائرات وحدة العمليات العسكرية السايكولوجية 130 إي، التابعة للقوة الجوية الامريكية، وتم بثها اذاعيا الى جنوب العراق من الكويت. وبدأ بث الاذاعة العراقية المنتظم في 10 نيسان والتلفزيون في 13 ايار (مايو) 2003.

ولم تستطع الوليدة الفوز بقلوب العراقيين وعقولهم حسب مخطط الحرب الدعائية الاعلامية، بل تحول النجاح المأمول الى سراب يماثل سراب وجود اسلحة الدمار الشامل. فقد ادرك العراقيون ومنذ الايام الاولى لبث قناة العراقية بانها صوت الاحتلال وليس صوتهم. واختاروا مراقبة فضائيات العربية والجزيرة وفي فترة لاحقة الشرقية. وكان جل برامج العراقية تغطية لاخبار بول بريمر ومجلس الحكم والمؤتمرات الصحافية لادارة الاحتلال. فاهمل العراقيون القناة. مخيبين آمال علاء فائق، المسؤول الثاني في الشبكة والموظف لدى سايك، الذي تحدث بعنجهية قائلا بان العراقيين اكتشفوا في الريموت كونترول لعبة جديدة سرعان ما سيملونها ليعودوا الى مشاهدة العراقية التي تقدم لهم اعلاما مستقلا فريدا من نوعه في الشرق الاوسط. مضيفا: نعم، نحن مدعومون من البنتاغون. لقد تبنت الحكومة الامريكية مسؤولية مساعدة العراق لبناء اسس الديمقراطية لذلك يجب الترحيب بدعمهم تلفزيونا عراقيا مستقلا. انه نموذج جديد في العراق والشرق الاوسط لقناة تدعمها حكومة لكنها مستقلة عن السلطة!

هذه اللهجة الجامعة بين عنجهية الادعاء والنظر بدونية الى الناس صارت واحدة من ميزات مسؤولي العراق المحتل، بدلا من الاعتراف بانهم بلا حول ولاقوة وان السلطة الحقيقية هي بيد المحتل.

وكانت ظروف العمل بامرة سايك سيئة وسلطة بول بريمر مطلقة الى حد دفع عدد من المستخدمين الى الاستقالة.

كان من بينهم احمد الركابي، مدير قسم الاخبار، ودون نورث الذي كان مراسلا في فيتنام وواشنطن لعدد من القنوات الامريكية، فاستقال في تموز (يوليو) 2003، وكتب في مقالة نشرت له فيما بعد، لقد اصبحت الشبكة بوقا لمجلس الحكم وحطمت سياسة المجلس مصداقية الشبكة الهشة.

حدثنا نورث، ايضا، كيف رفض طلبه لـ500 دولار لشراء صحن ساتالايت لاستلام الاخبار من رويترز، وكذلك مبلغ 200 دولار لطبع كتيب ارشادات للصحافيين العراقيين باللغة العربية. في الوقت الذي كانت فيه الميزانية المخصصة للشبكة، من قبل البنتاغون ضمن برنامج العمليات الخاصة، هي 100 مليون دولار، وفي الوقت الذي فرض على الصحافيين ارسال وتصوير التقارير عن انجازات الاحتلال والمشاريع الوهمية لقاء 120 دولار شهريا. فأين اختفت الملايين؟ ومن هو المسؤول عن الفساد؟ هل اجري تحقيق لمساءلة المسؤولين؟

يعطينا تقرير لمفتش البنتاغون العام، صدر في شباط 2004، مثالا عن الفساد المستشري في نمو الشبكة. فقد قام مدير برنامج الاعلام بشراء هامر أتش 2 وبيكاب فورد لاستخدامه الشخصي واستأجر طائرة دي سي 10 حمولة خاصة لنقلها الى العراق.

كما تم صرف مبلغ طائل للتعاقد مع من اطلق عليه لقب خبير اعلامي وكان، في الحقيقة، مسؤولا عن كيفية التخلص من تراكم القمامة في العراق، ثم عين بعد ذلك مستشارا في وزارة الرياضة والشباب. تدل كل التقارير ان نسبة ضئيلة قد لاتصل العشرة بالمئة من الاموال المكرسة للمشاريع استخدمت، عمليا، لتنفيذ المشاريع بينما صرف الباقي على الموظفين والادارة.

في 9 كانون الثاني (يناير) 2004، منح البنتاغون عقدا جديدا قيمته 96 مليون دولار لشركة اسمها هاريس كوربوريشن ومقرها فلوريدا، لادارة مشروع شبكة الاعلام العراقية. مع العلم ان عقد سايك لم يلغ بل بقي ساري المفعول. وشركة هاريس لاعلاقة لها بالاعلام ايضا. انها مختصة بتكنولوجيا الاتصالات وتعاونت لتنفيذ العقد مع ال بي سي، فيما يخص العراقية، وشركة الفوارس الكويتية، فيما يخص جريدة الصباح. وبعد استلام هاريس للملايين استقال عدد اخر من رعيل المتعاونين مع الاحتلال اما احتجاجا على تأخر صرف رواتبهم او بسبب سوء معاملتهم او للتنافس على النهب، ونادرا ما كانت الاستقالة بسبب معارضة خطاب الاحتلال الاعلامي.

على الرغم من ذلك، تم تجديد العقد مع الشركة بتاريخ كانون الثاني (يناير) 2005 بقيمة 22 مليون دولار ولمدة ثلاثة اشهر فقط من اجل تدريب الكوادر ودمج انظمة الشبكة، حسب اعلان الشركة.

وفي الوقت الذي تصر فيه الهيئة على انها مستقلة تعمل من اجل تعزيز وحدة العراقيين وتعدديتهم، اخبارها حية وبامكان المشاهد الاعتماد عليها، فان مراقبة برامجها ورصدها يدل بشكل لايقبل الشك على طائفيتها كما حدث اثناء تغطيتها حادث جسر الائمة، واستخدامها كاداة ترويع وتخويف للناس عن طريق بثها برامج وافلام عن مداهمة البيوت واعتقال المواطنين بتهمة الارهاب باسلوب اسرائيلي سواء من قبل قوات الاحتلال او القوات العراقية، وغالبا ما يتم تصوير عمليات الاعتقال ليلا زيادة في ارهاب الناس. واذا ماتركنا جانبا النواحي الفنية البائسة لتقديم البرامج واعدادها والتغطية البائتة للاخبار وانتقائيتها المفضوحة وعدم استقلاليتها، وتطاير المفردات الانكليزية لفظا ونثرها على الشاشة كتابة، حتى بات نصف بعض البرامج ينطق بالانكليزية، فان واحدة من انجازات هذه القناة المضحكة المبكية التي اثارت ضجة عالمية وانتقادات منظمات قانونية وانسانية دولية، هي عرضها مواطنين عراقيين على شاشتها واعتبارهم من الارهابيين والمجرمين قبل تقديمهم الى المحاكم المختصة، وقد تحدث بعضهم وآثار التعذيب باديه عليه، واعترف البعض الآخر بجرائم مريعة تصل الى حد ارتكاب جرائم القتل والاغتصاب، وتبين من خلال تحقيقات اجراها وفد من نقابة المحامين العراقيين بانها جرائم وهمية رددها المواطنون لانهم ارادوا وبأي شكل كان حماية حياتهم ووضع حد لتعذيبهم. كما قامت القناة بنقل جلسات تحقيق مع متهمين من مراكز الشرطة والامن، وهو ما يتنافى مع مفاهيم الاعلام الحر ومباديء الديمقراطية التي تؤكد عليها المواثيق الدولية وقرارات الامم المتحدة.

ان للنظام الاعلامي في اي بلد كان أهمية قصوى في بناء الوعي الجماهيري والثقافي وتنمية القدرات المجتمعية وتبادل المعلومات واثارة النقاشات الفكرية واجراء الحوار الخلاق والتحريض على مساءلة السلطات ومحاسبتها. وتتزايد اهمية النظام الاعلامي في اوقات الازمات والحروب والبناء التي يمر بها البلد. من هذا المنظور البديهي ومن خلال رصد ولادة ونمو وماقدمته شبكة الاعلام وبالتحديد قناة العراقية، لما للاعلام المرئي من اهمية، يتبين بان شبكة الاعلام العراقية هي شبكة تابعة للخطاب الانجلو امريكي للاحتلال، لاتمثل المواطن العراقي الذي تدعي تمثيله بل جعلت من نفسها، منذ ولادتها وحتى الآن، بوقا للاحتلال ووكلائه، حتى صارت، لاتزيد عن كونها اعلانا مدفوع الاجر، في برنامج سياسي مرسوم ومحدد مسبقا من قبل ادارة خارجية لها خطابها الخاص.

* كاتبة من العراق

اي وطن يريد السوريون؟

د. يحيى العريضي *

■ كان الاستاذ زهير سالم غاية في العلم والأدب والوطنية عندما التقينا. كانت عبارته ـ (اسماء ابنتنا) عندما وردت اشارة الى عقيلة الرئيس بشار الاسد ـ قمة في الخلق والتهذيب ورهافة الحس.

كان ذلك خلال برنامج على محطة «المستقلة» الفضائية، جمعني والاستاذ زهير سالم الرجل الثاني في تنظيم «الاخوان المسلمين» السوريين.

كم تمنيت ان أخرج من الاستديو واتوجه الى المطار مباشرة، واصل دمشق بأسرع ما يمكن وألتقي اصحاب القرار في السياسة السورية، واطلب منهم حلا للمسألة مع الاخوان المسلمين. هكذا فكرت وتمنيت بكل اختصار ووضوح.

لم تتحقق امنيتي تلك الا بعد اسابيع حين سافرت الى دمشق والتقيت اشخاصا اعرف انهم مساهمون في القرار السياسي السوري.

وكانت العبارة التي تردد اطلاقها من قبل اكثر من جهة عندما طرحت موضوع انهاء المسألة المشكلة هي: «هذا الموضوع خط احمر».

دفعني الفضول ـ ربما التهور ـ أن اسأل عمن أطلق تلك العبارة «خط احمر»، فكان الجواب: «القيادة». هنا دفعتني «الحشرية»، وليس فقط الفضول أن أسأل ايضا: «من من القيادة؟»، فكان الاسم الذي تكرر أكثر من أي اسم آخر هو «عبد الحليم خدام».

حينما كنت اسمع الاسم يتكرر تذكرت تلك الجلسة في مدرج جامعة دمشق عندما اطلق السيد خدام تحذيراته من تحويل سورية الى جزائر، وعندما هجم ذلك الهجوم على جلسات الحوار والنقاش والانفتاح، الذي ساد في الاشهر الاولى من رئاسة الدكتور بشار الاسد.

في مدرج الجامعة كان الدكتور حبيب محمود يجلس الى جانبي وضعت يدي على ركبته وقلت: «حبيب، حديث هذا الانسان ضد تفكير بشار الاسد تماما». وافقني حبيب، وصمت كلانا، بلعنا افكارنا وهواجسنا، كان اختصاص الرجل توزيع شهادات في حسن السلوك الوطني. كانت تلك دروس في الصمت والرعب والخوف والقمع والخطأ والخطيئة. وهذه لا يمكن ان تكون في منهاج بشار الاسد. ان بشار الاسد الذي تعرفه وتريده سورية هو ذلك الرجل الذي لا يحب الصمت او الرعب او الخوف او القمع او الخطأ او الخطيئة، ولا الخطوط الحمراء، فالخط الاحمر الوحيد هو حول العدو الصهيوني الذي يحتل الارض العربية. سورية التي يريدها بشار الاسد هي تلك التي لا يعلو فيها احد فوق القانون.. تلك التي لا يدخل السجن فيها الا من يرتكب جريمة بحق الوطن او المواطنين، ولا يدخل سجن فيها من يخالف رأيه رأي السلطة. السوريون لا يريدون نظاما له اولوية على الوطن، ولذلك هبوا هبة واحدة دفاعا عن سورية عندما شعروا انها مستهدفة: بشار الاسد يعرف ان هذه الحالة حصانة له.

الضغوطات التي مورست على سورية خلال السنوات الاربع الماضية كانت كفيلة باضعاف واخضاع اية سلطة في العالم، ومن خلال تناغم ما يريده السوريون وعلاقتهم مع بشار الاسد كان المهم ألا تضعف سورية أو تخضع، وهكذا كانت سورية ظلت قوية صابرة صامدة.

في زمن سورية الصعب هذا لم يكن بشار الاسد رمزا لسلطة او تجسيدا لها، كان رمزا وتجسيدا لصلابة الوطن. لم يختصر الرجل الوطن بشخصه، ولكن الوطن حمله فكبر هو بالوطن وصمدا معا.

لم يكن بشار الاسد بديلا للوطن بل كانت سورية فوق الجميع ولهذا كانت قوية وكان بشار الاسد قويا صامدا خلال أزمتها كانت سورية هي العالية المنزهة عن الخطأ: فالوطن هو الاله الذي لا يرتكب أخطاء، هكذا يرى قائد سورية، وهكذا كان خطابه عن اخطاء ارتكبت.

في مقاله ذاته يقول الكاتب ميشيل كيلو ان مؤسسات معينة طورت طقوسا خاصة جعلت من النظام الها بشريا، يقول للاشياء كوني فتكون، الان فهمت لماذا قال بشار الاسد في اول خطاب له: «أنا لا املك عصا سحرية». لا أعرف ما سيأتي في خطاب الرئيس الاسد خلال الساعات المقبلة لكنني أقرأ الكثير وهذه بعض برقيات قراءة في ما سيأتي:

الارتباط مع الارض والشعب والسيادة الوطنية لا مع أي شيء آخر. الشرعية شرعية الوطن لا أي شيء آخر.

لا مشكلة لسورية مع الهيئات الدولية وخاصة مجلس الامن، ولا مع لجنة التحقيق بقتل الحريري، فحرص سورية على معرفة من قتل الحريري أكثر من حرص أي جهة أو دولة آخرى.

أهل سورية الذين حملوا رئيسهم في قلوبهم وعقولهم يريدون منه وقفة صراحة ومشروع يترجمه خيرا وراحة وازدهارا لهم ولسورية، وهم جاهزون للوقوف معه، وهو يدرك ذلك، وسترد هذه المسألة الحساسة في الخطاب.

هذه هي السورية التي لا تهزم، وهذا هو الوطن الذي يريده السوريون.

* مدير المركز الاعلامي السوري في لندن

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 0208 (6 خطوط).
فاكس: 8902 741 0208 أو 7637 748 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف: 5337920 فاكس: 5337928 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37)